فاتن

عادت فاتن زوجة الدكتور شفيق المهجورة إلى منزلها عند المساء من دار السينما وهي سكرى برغبات الجسد.. إنها تغمض عينيها أحيانا وهي ترتقي درجات السلم لتحلم بقبلات البطل المحمومة ولتتخيل نفسها بين ذراعيه.. وإذا بها تفاجأ بالساكن الجديد الذي شغل الشقة قبالة شقتها يقفل بابه ويهبط السلم، وحدق في عينيها لحظة وهو يمر بها بشكل لم تملك معه نفسها من الارتجاف.. وحين وصلت إلى أعلى السلم التفتت فرأته يلتفت هو الآخر في نفس تلك اللحظة وابتسمت لنفسها وهي تهز أعطافها بنشوة:

- إنه ساحر هذا الجار الجديد.. إن نظرته لا تقاوم..

كانت قد بعثت بصغيرتها في صبيحة ذلك اليوم مع خادمتها إلى منزل والدهم للزيارة.. وكانت تفعل ذلك من حين لآخر حين تلحان عليها وفي أعماقها رغبة أن يصفو الجو بينهما فهي لا تنفر من عشرته.. لقد كان كريما معها وحين تذكره في وحدتها لا تملك نفسها أن تقول : "إنه ليس ناري العاطفة ولكنّه حنون" !

وكثيرا ما كانت تعنف في لوم نفسها لعجزها عن لجم نزواتها، ولكنها لم تقو على تغيير طباعها، فالتبطل والعاطفة المجنونة وجو الإثارة الذي تحيط به نفسها لا يترك لها مجال الاتزان والروية.. إن الفيلم يعجبها بقدر ما فيه من

قبلات محمومة، والكتاب يشغفها كلما كان أدبا مفضوحا، والغناء والموسـيقى تهزها ليس بما فيها من فن ولكن بقدر ما تثير فيها من عواطـف وأحاسـيس الجنس!..

لم يكن من أحد في المنزل حين دلفت إليه فالخادم فـي عطلتهـا الأسـبوعية ووالدتها في إحدى زياراتها التي لا تكاد تنقطع إلا يـوم اسـتقبال زائراتهـا، ووالدها في المقهى كعادته.. وجلست إلى جهاز البيـك آب وأدارت اسـطوانة لأغنية فرنسية تتخللها همسات سكرى لرجل يسكب عبارات الحب الملتهب في أذني فتاته.. وأسبلت جفنيها وقلبها يخفق بعنف وجسدها يرتعش للنغم المثيـر والنبرة المسكرة، واستسلمت لأحلامها.. تذكرها بالشاب الذي اشـترت منـه الاسطوانة.. شاب أرمني وسيم.. وقفت تسأله عن اسطوانة جديـدة عاطفيـة فأجابها بأنها نفذت ولكن لديه ما هو أكثر عاطفيـة منهـا فابتـسمت وقالـت "أسمعني إياها".. كانت تتأمل وجهه الوسيم الممتلئ بالرجولة ثم تسمر نظرهـا لحظة على صدره الأشعر يبدو من فتحة قميصه الناصـع البيـاض وهزتهـا رعشة عنيفة.. وأسبلت عينيها بطريقتها التمثيلية التي أتقنتها فلم يقو الـشاب أمام نظراتها وإغراء عينيها أن تشتعل رغبته ويحتدم وجهه الأسمر.. وسرها أنها أثارته.. إن أروع لحظاتها هي حين تُثير وتُثار.. وانقضت لحظات حيـة تصغي فيها بنشوة إلى الأغنية التي تسمعها في تلك اللحظـة وتمتـع عينيهـا

وأحاسيسها بنظرات الشاب العاطفية المضطرمة.. لقد انقلب الشاب التاجر إلى عاشق وأبى أن يأخذ ثمن الاسطوانة وأهداها لها..

كانت الذكرى قديمة، منذ أشهر، وقد فقدت بعض حيويتها وقدرتها على الإثارة فلم تلبث أن استبدلتها فاتن بالوجه الذي طالعها ذلك المساء وهي ترتقي السلم ودمجته ببطل الرواية التي شاهدتها وراحت تستدفئ بأحلامها الملتهبة وتنـسج في خيالها رواية مثيرة تكون هي لحمتها وسداها جارها الجديد..

وفيم هي مسترسلة في أحلامها والبيك آب الأوتوماتيكي ُيرقد نغما ليوقظ نغما جديدا إذا بها تسمع رنين الباب فقامت متثاقلة وهي تتمطى وتتثاءب وفتحـت الباب، وعلى ضوء النور الساطع من الصالة شاهدت رقيبا ضئيل الجسم نحيلا شاحب الوجه دهش لرؤياها كأنما لم يكن ينتظره وقال:

- آسف.. أظن أنني أخطأت.. أين يسكن الدكتور محسن من فضلك؟..

وأشارت فاتن إلى باب الشقة المقابلة وقالت:

- أظنه قد نزل..

وبان القلق والتململ في وجه الشاب وهو يرن الجـرس دون جـدوى وهـم بالانصراف لولا أن الدكتور محسن أقبل في تلك اللحظة يحمل صحف المساء ويرتقي السلّم في عجالة مرحبا بضيفه والتقت عينا فاتن بعينيه مـرة أخـرى واختلجت شفتاها انفعالا.. وتوارت خلف الباب دون أن تغلقه كله وقلبها يخفق

بعنف ثم اختلست نظرة أخرى نحوه فرأته يبتسم لها وهو يغلق الباب بتؤدة بعد أن عبر الضيف..

وراحت فاتن تتعمد لقياه وهي تحس بأنه قدرها، وأنها أضعف من أن تقاومه.. إن قلبها يثب لخفقات نعليه وهو يدك بهما الأرض في ثقة واعتـزاز، ولقلقـة مفتاحه في الباب حين يعود في الليل.. وتبقى الساعات متلهفة متقدة العاطفـة تفكر بالطريقة التي تصل ما بين حياتها وحياته.. ولم تعد تتمنى العـودة إلـى زوجها الأول، بل غدت حريصة على أن تطلب الطلاق منـه بإلحـاح حتـى تتمكن من الزواج بالرجل الآخر الذي لمست لهفته وتأكد لديها أنه ينتظر إشارة منها..

كانت طفلتاها كثيرا ما تترددان على منزل الدكتور محسن فلقد توثقت بينهمـا وبين المرأة العجوز التي تدبر شؤون بيته في الفترة الصباحية حتـى الظهـر صداقة متينة.. إذ كانت تقص عليهما القصص المسلية وتعوضهما عما يفتقـدا من رعاية والدتهما وحنانها..

وكانت فاتن تلحق بهما لا لإنها حريصة على إعادتهما للبيت ولكن ليتاح لها أن تدردش قليلا مع المرأة العجوز، ولتملأ ناظريها وأحاسيسها بالجو الذي يعيش فيه الرجل الذي أحبته.. إن كل شيء يثيرها.. بيجامته المعلقة.. خفه.. السرير

الذي يرقد فيه.. وكثيرا ما همست بينها وبين نفسها وهي تتأمل صورته فـي الصالة بشغف وإعجاب:

- ليتني كنت زوجته.. كيف يحتمل الوحدة؟.. لا شك أنه يشتهي أن تكون له امرأة مثلي فاتنة مثيرة..

وتتقد عواطفها ويرتعش قلبها وهي تسبل عينيها لحظة وتحلم.. كانت في مثـل وقفتها تلك حين فوجئت به ذات يوم يعود على غير عادته بعد أن بارح المنزل في الصباح.. وشهقت وقد ارتجف كيانها بعنف.. كان يقترب منها وهو يبتسم وعيناه تنفذان إلى أعماقها.. وأحست انها تتهاوى أمامه.. إنها لن تمـانع لـو ضمها لو قبلها.. ولكنه لم يزد على أن اعتذر بأنه نسي أوراقا فـي مكتبـه.. ونادى "أم محمد" التي كانت مشغولة في المطبخ وكلفها أن تهيء طعاما لأربعة أشخاص سيستضيفونهم عند الظهر وذهب توا إلى غرفة مكتبه وفـتح بابهـا بمفتاح كان لديه.. فلقد كان حريصا على أن يقفلها دائما حتى لا يعبـث أحـد بمحتوياتها.. ووقفت فاتن لحظة وهي تشعر بصداع مفاجئ وبرودة تسري في أوصالها وتثلج أطرافها..

أيمكن أن تفشل في إثارته هي التي تدير نظرة منها رأس أي رجـل؟.. لقـد طعنها في صميم أنوثتها وثارت كرامتها المجروحة تريد أن تقهره بأي ثمن.. إن خواطرها الرعناء لا تدري أتقتحم عليه مكتبه وتغرز أظافرها في وجهه، أم

تطبق بأسنانها على شفتيه لتذيقه قبلة مجنونة.. ومر بها وهـي فـي عاصـفة انفعالاتها فابتسم ومد يده إلى رأسه مودعا وترك البيت وهي تحدجـه بنظـرة نارية..

* * *

رن التلفون في منزل الدكتور شفيق فأمسك بالسماعة وهو لا يزال مستلقيا في فراشه وهتف في دهشة وسرور وارتباك:

- فاتن!..

كان الوقت مبكرا والصباح لما يتنفس، ولكن الدكتور شفيق لم يكـن مجهـدا كعادته فلقد أشبع في الليلة الماضية نهم أبوته لصغيرتيه الجميلتين اللتين كانتـا في ضيافته، وأرقدهما قربه في سرير والـدتهما.. كانـت الكبـرى تـشبهه والصغرى تشبه أمها وراح يتأملهما بحنان بالغ وقد أغفتا ويد الأخت الكبـرى تطوق عنق الصغرى وهمس بأسى:

يجب أن نتصافى لأجل هاتين الصغيرتين.. إنهما لا تعيشان حياة طبيعية..

كان ينتظر أن تبادره زوجته بما يكشف عن ندمها وتوبتها فيصفح عنها.. إنـه أرق من أن يحرر وثيقة طلاق بعد خمسة أعوام من الزواج وبعد أن غدا أبـا لطفلتين.. فلما سمع صوت زوجته في الصباح ابتسم في رضى واطمئنان وهو

واثق أنها عادت نادمة مستغفرة، وعول على أن يقسو عليها بعض الشيء ثـم يلين تحت إلحاحها ولكنها فاجأته بما جعله ينتفض في فراشه وهو يقول:

- هل أنت جادة بما تقولين؟.. هل فكرت في الأمر مليا؟.. لن يكون تراجـع بعدها ؟.. وأجابته بلهجة تهكمية أثارت حنقه:

- ثق أني لن أتراجع.. سأتزوج عن قريب.. فقال ساخرا:

- تتزوجين!.. يسعدني أن يهنأ غيري بك.. ولكنني في هذه الحال سأسـتعيد الصغيرتين.. هل فكرت في هذا؟..

وضحكت فاتن ضحكة أغاظته وقالت:

- لم أكن في حياتي متشبثة بالأطفال.. ولو تُرك الأمر لي لما أنجبـت فـي حياتي طفلا.. إنني في غنى عن "وجع الرأس" ولك أن تستبقيهما منذ اليوم عندك.. وكل ما أريده أن تعجل بالطلاق..

وأجابها الدكتور شفيق وقد ذهب به الغضب كل مذهب:

- ثقي أنني سأكون عند حسن ظنك.. ولن يقبل الشهر القادم دون أن أحقـق أمنيتك..

ووضع سماعة التلفون واضطجع دون أن يسمع جوابا وبقي فترة من الـزمن ساهما يحدق في السقف وقد وضع يديه تحت رأسه يفكر فيهـا ومـلء قلبـه

المرارة والأسى.. واستدار ببصره نحو الصغيرتين النائمتين وسحب اللحـاف إلى أعلى كتفيهما ليرد عنهما برد الصباح وهمس لنفسه:

- منحلّة ميتة الشعور.. إن أمهات الحيوان أشرف منها عاطفة..

وفي تلك اللحظة بالذات كان رجل آخر يفكر في فاتن ويقول لنفسه وهو يبتسم قبل أن يغادر فراشه:

- إنها امرأة نارية.. أنثى نقية.. إنها تؤكد ذاتي وتزيدني قوة.. إنها تجعلنـي أومن برجولتي.. وذكر بسرور بالغ كيف اقتحمت بيته في الليلـة الفائتـة تحمل قطتها، وتدعي أنها مريضة تحتاج إلى علاج وكيف ثارت إذ أكد لها سلامتها.. وقالت له إنه رجل غير مهذّب ولا قلب له.. وكيف أقنعها بأنّـه مهذّب وله قلب.. وضحك لانتصاره:

- إنها الأنثى الخالدة أبدا.. تسعى إليك حين تهرب منها وتهرب منـك حـين تسعى إليها!..

* * *